# أسماء الله الحسنى

## العلِيُّ الأَعْلَى المُتعالِ -جل جلاله-

## اللقاء السادس والثلاثون

للتعبد بأسماء الله الحسنى وصفاته آثار طيبة في سلامة القلوب، وسلامة الأخلاق والسلوك، كما أن في تعطيلها بابًا إلى أمراض القلوب.

المعرفة بالله جل وعز وأسمائه وصفاته تبصر العبد بنقائص نفسه وعيوبها وآفاتها؛ فيجتهد في إصلاحها، وأركان الجحود أربعة: الكبر، الحسد، الغضب، الشهوة، ومنشأ هؤلاء الأربعة جهل العبد بربه وجهله بنفسه، فإنه لو عرف ربه بصفات الكمال ونعوت الجلال، وعرف نفسه بالنقائص والآفات لم يتكبر، ولم يغضب لها، ولم يحسد أحدًا على ما آتاه الله.

⇦ولأطفئ حب الله نار الشهوة المحرمة، فكان هذا قائده لجنات النعيم.

فالعلم بأسماء الله الحسنى وصفاته سبب لتجريد التوحيد وتمام الإيمان، وتظهر بها أعمال القلوب من إخلاص ومحبة وخوف ورجاء وتوكل على الله وحده، والاعتناء بهذا الباب والتأمل فيه قليل مع أنه باب عظيم لإصلاح القلوب وتخليصها من وساوسها وآفاتها.

جَاءَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنِ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ: "...كَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ، لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً؛ فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-؛ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أُعْتِقُهَا؟ قَالَ: "ائْتِنِي بِهَا!" فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا: "أَيْنَ اللَّهُ؟"، قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: "مَنْ أَنَا؟"، قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: "أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ".

عَلَى السَّمَاوَاتِ فَوْقَ الْعَرْشِ مُرْتَفِعًا *** مُبَايِنًا لِجَمِيعِ الْخَلْقِ مُتَّصِفَا

بِكُلِّ أَوْصَافِهِ الْعُلْيَا الَّتِي كَمُلَتْ *** وَلَيْسَ هَذَا بَحَمْدِ اللَّهِ فِيهِ خَفَا

ورود الأسماء في القرآن (العلِيُّ الأَعْلَى المُتعالِ):

قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: 62].

وقال تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: 1].

وقال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: 9].

ورد ها في السنة:

كما في حديث حذيفة بن اليمان: قال حذيفة رضي الله عنه: "صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ -ﷺ- ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ:

يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ»، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ»، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى»، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ" (صحيح، مسلم).

وحديث ابن عباس رضي الله عنهما: "أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- كانَ إذا قرأَ: (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) قالَ: «سبحانَ ربِّيَ الأعلى»" (صحيح الألباني، صحيح أبي داود).

وفي السنة ثبت الحديث في مسند الإمام أحمد بسندٍ صحيح من حديث عبد الله ابن عمر أنه قال: "قرأ رسول اللهِ -ﷺ- هذهِ الآيةَ وهو على المنبرِ: (وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)، قال: «يقولُ اللهُ: أنا الجبارُ، أنا المتكبرُ، أنا الملكُ، أنا المتعالُ.. يمجِّدُ نفسَه»، قال: فجعل رسولُ اللهِ -ﷺ- يُرَدِّدُها حتى رجف به المنبرُ حتى ظننا أنه سيَخِرُّ به"

معنى الاسم في اللغة: أعلى على وزن (أفعل)، فعله علا، يعلو، علوًا، فالأعلى هو الذي ارتفع عن غيره وفاقه في وصفه.

كل من علا مهما كان فالله أعلى منه والله أعظم منه والله أجل منه، مهما كان له العلو في الأرض ومهما كان متصفا بالمنزلة والمكانة، فالله سبحانه وتعالى ذو العُلُّو وذو العُلا والمعالي.

المعنى في حق الله:

العلي والأعلى والمتعال من العلو وهو الارتفاع، فهذه الأسماء الثلاثة العظيمة تدل على علو الله تعالى على خلقه علواً مطلقاً بجميع أنواع العلو ومعانيه، بذاته وصفاته وسلطانه وقهره، وجميع الخلق دونه في كل ذلك.

فالله هو العلي: أي: العالي الذي ليس فوقه شيء، وهو الأعلى، أي: أعلى من كل عالٍ، وصفاته أعلى الصفات، وهو المتعال، أي: المستعلي على كل شيء بقدرته وقهره.

وقد قسم العلماء علو الله تعالى بحسب تتبع الأدلة واستقرائها إلى ثلاثة أقسام:

1- علو الذات: فالله تعالى فوق خلقه عالٍ عليهم بذاته، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يونس: 3]، أي: علا على العرش سبحانه بكيفية تليق بجلاله وعظمته، وقال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: 50].

2- علو القهر والسلطان: أي: أن الله قاهر غالب، فلا ينازعه منازع، ولا يغلبه غالب، ولا يقع في ملكه إلا ما يريد، وكل مخلوقاته تحت قهره وسلطانه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: 18]، أي: وهو الذي قهر كُلَّ شيء، وخضع لجلاله كُلُّ شيء.

3- علو القدر والصفات: أي: أن صفات الله عليا لا مثيل لها، ولا يستحقها غيره، قال تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: 27]، أي: له الصفات العليا والكمال المطلق.

قال تعالى: (وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [النحل من الآية:60]، (وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [الروم:27].

يقول الألوسي رحمه الله في (روح المعاني): "(وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىَ) أي: وله الصفة العجيبة الشأن التي هي مَثَلٌ في العُلّو مطلقًا، وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الواسع والنزاهة عن صفات المخلوقين ويدخل فيه علوه تعالى عما يقولون علوًا كبيرًا". فإن كان الله سبحانه وتعالى وحده هو المتصف بذلك فله المثل الأعلى والغنى المطلق، فكل ما سواه فقير وكل ما سواه يحتاج أما هو سبحانه فغني غنى مطلق، لا تنفعه عبادات أحد ولا تضره معاصيهم، لا تنفعه قرباتهم ولا يضره ابتعادهم، لا يحتاج إلى شيء ولم يتخذ صاحبةً ولا ولدًا.

الفرق بين العليَّ والمتعال: أن العلي فيها معنى علو القهر لكن المتعال فيها علو القهر وزيادة، أي بلغ منزلة عظيمة جدًا في قهره وكبريائه سبحانه وتعالى لعباده.

قال ابن كثير رحمه الله: "المتعال على كل شيء قد أحاط بكل شيءٍ علمًا، وقهر كل شيء فخضعت له الرقاب، ودان له العباد طوعًا وكرهًا وهو الكبير المتعال، فكل شيء تحت قهره وسلطانه، وعظمته لا إله إلا هو، ولا رب سواه لأنه العظيم الذي لا أعظم منه".

فالمتعال لا شيء فوق قهره وقوته، لا غالب له ولا منازع، بل كل شيء تحت قهره وسلطانه: (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ) [الأنعام:18].

فاجتماع علو القهر مع علو الفوقية يعني أنه الملك من فوق عرشه الذي علا بذاته فوق كل شيء والذي قهر كل شيء وخضع له كل شيء وذل لعظمته وكبريائه كل شيء.

الفرق بين اسمه تعالى العلي والأعلى:

العلي: تعطي صفة العلو بكل المعاني، أما الأعلى: ففيه معنى المفاضلة، بمعنى أن له العلو ولا أحد يعلوه، هو الأعلى من كل أحد ومن كل شيء وينبغي أن يكون في قلوبنا هكذا.

فحين يعلوا حب الله فوق كل حب في الوجود، تطيب القلوب من أمراضها، وتنتهي نزعات النفس، وتنقاد الجوارح في كل قول أو فعل أو حركة أو سكون، لنيل رضا المحبوب العلي الأعلى المتعال، فيسهل الأمر والنهي ويصبح هناك لذة في الطاعة وإن كانت شاقة، لأن الحب يهون كل المشاق، ويخففها على النفس، فيظفر بكل خير، ويفوز بعطايا الله والبركة في العمر، والسعة في الرزق، والسعادة في الدنيا والآخرة.

اسم الله الأعلى دال على علو الشأن عن جميع النقائص والعيوب المنافية للألوهية والربوبية.

تعالى الله في الوحدانية عن الشريك وعن النظير، والظهير، والولي، والنصير، تعالى سبحانه وتعالى عن كل ذلك فلا شريك له ولا نصير له ولا ولي له ولا ظهير له.

تعالى سبحانه في عظمته وشأنه وقدره، فتعالى أن يشفع أحد عنده دون إذنه، له صفة القهر والغلبة والكبرياء.

وتعالى في صمديته عن الصاحبة والولد وأن يكون له كفوًا أحد.

تعالى في كمال حياته وقيوميته عن السِنة والنوم.

تعالى في قدرته وحكمته عن العبث والظلم: «يا عبادي إنِّي حرَّمتُ الظلمَ على نفسي وجعلتُهُ بينَكُمُ محرمًا» (صحيح؛ بن تيمية، مجموع الفتاوى: [261/11])

تعالى في صفات كماله ونعوت جلاله عن التعطيل والتمثيل سبحانه وتعالى.

❍هذا كله داخل في علو شأن ربنا سبحانه وتعالى ولذا قال الله: (وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) [الأنعام من الآية:91] أي: ما عظّموه وما أعلوه وما أعطوه أقل حقه سبحانه، بل عظموا ما حقر وحقروا ما عظم.

قال: (تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) [الرحمن:78].

📝فاسم الله تعالى الأعلى دل على مطلق الجلال في الذات والصفات والأفعال وليس ذلك إلا لرب العزة والجلال، طالما أنه الأعلى.

📝فهو أعلى بذاته وأعلى بصفاته وأعلى بأفعاله، وهذه صفة جلال، فكل ما خطر ببالك فالله أعلى منه، فالأعلى سبحانه له علو الذات والفوقية وله علو الشأن في كماله وجماله، ففي رحمته عليّ أعلى، وفي عفوه عليّ أعلى، وفي كل شيء.

📝فمثلًا إذا تأمّلنا تودّد الله لنا وشعرنا بأنه سبحانه ودود وشعرنا بقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) [مريم:96]، ففرحنا واستبشرنا فكل ما خطر ببالنا من هذا الله أعلى منه! أرأيتم جمال أسمائه وصفاته سبحانه!

📝وإذا تأمّلنا عفوه، وتدبرنا قوله: (وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ) [الشورى من الآية:30]، وتخيلنا جبال من السيئات يغفرها يوم القيامة، فكل ما خطر ببالنا بشأنه الله أعلى منه! فتأمّلوا!

في الحديث القدسي: "قالَ اللَّهُ تبارَكَ وتعالى يا ابنَ آدمَ إنَّكَ ما دعوتَني ورجوتَني غفَرتُ لَكَ على ما كانَ فيكَ ولا أبالي، يا ابنَ آدمَ لو بلغت ذنوبُكَ عَنانَ السَّماءِ ثمَّ استغفرتَني غفرتُ لَكَ، ولا أبالي، يا ابنَ آدمَ إنَّكَ لو أتيتَني بقرابِ الأرضِ خطايا ثمَّ لقيتَني لا تشركُ بي شيئًا لأتيتُكَ بقرابِها مغفرةً" صحيح الترمذي

✉مقتضى أسماء الله العلي الأعلى المتعال وآثارها: يلزم من العبد أن يعظّم الله تعالى ويمجّده ويقدّسه، ويستلزم من تعظيم الله تعالى تعظيم شرعه وأمره ونهيه.

✉كما تقتضي هذه الأسماء اللجوء إلى الله تعالى والخضوع له والافتقار إليه وإظهار الحاجة إليه، فهو سبحانه العلي الذي بيده الأمور كلها، وكل شيء تحت قهره وتصرفه وسلطانه.

📝فَرَبُّنَا الْعَلِيُّ؛ الَّذِي لَا أَعْلَى مِنْهُ، لَهُ الْعُلُوُّ الْمُطْلَقُ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ: عُلُوُّ الذَّاتِ، وَعُلُوُّ الْقَدْرِ وَالصِّفَاتِ، وَعُلُوُّ الْقَهْرِ وَالْغَلَبَةِ، وَعُلُوُّ الْحُجَّةِ.

📝وَرَبُّنَا أَعْلَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، فَكُلُّ شَيْءٍ تَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ؛ لِأَنَّهُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا أَعْظَمَ مِنْهُ.

📝وَرَبُّنَا مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَقَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا.

📝تَنَوَّعَتِ الدَّلَائِلُ، وَتَكَاثَرَتِ الْبَرَاهِينُ، وَتَعَدَّدَتِ الشَّوَاهِدُ عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عَلَى خَلْقِهِ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: "وَاللَّهُ وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْعُلُوِّ، وَهُوَ مِنْ صِفَاتِ الْمَدْحِ لَهُ بِذَلِكَ وَالتَّعْظِيمِ؛ لِأَنَّهُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَلَا يُوصَفُ بِضِدِّ الْعُلُوِّ، وَهُوَ السُّفُولُ؛ لِأَنَّ السُّفُولَ مِنْ صِفَاتِ النَّقْصِ الْمُنَافِيَةِ لِصِفَاتِ الْكَمَالِ، وَاللَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ النَّقَائِصِ".

📝وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ خُزَيْمَةَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- عِنْدَ قَوْلِهِ -تَعَالَى-: (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى)[الْأَعْلَى: 1]: "يَا ذَوِي الْحِجَى؛ رَبُّنَا يُخْبِرُنَا أَنَّهُ: الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ، أَفَلَيْسَ الْعَلِيُّ مَا يَكُونُ عَالِيًا؟ لَا كَمَا تَزْعُمُ الْمُعَطِّلَةُ الْجَهْمِيَّةُ أَنَّهُ: أَعْلَى وَأَسْفَلُ وَأَوْسَطُ وَمَعَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِي كُلِّ مَوْضِعٍ مِنْ أَرْضٍ وَسَمَاءٍ،

وَفِي أَجْوَافِ جَمِيعِ الْحَيَوَانِ! ..."، حَتَّى قَالَ: "وَلَوْ تَدَبَّرُوا الْآيَاتِ لَعَلِمُوا أَنَّهُمْ: جُهَّالٌ؛ لَا يَفْهَمُونَ مَا يَقُولُونَ".

هَذَا وَمِنْ تَوْحِيدِهِمْ: إِثْبَاتُ أَوْ *** صَافِ الْكَمَالِ لِرَبِّنَا الرَّحْمَنِ

كَعُلُوِّهِ سُبْحَانَهُ فَوْقَ السَّمَـ *** ـاوَاتِ الْعُلَا بَلْ فَوْقَ كُلِّ مَكَانِ

فَهُوَ الْعَلِيُّ بِذَاتِهِ سُبْحَانَهُ *** إِذْ يَسْتَحِيلُ خِلَافُ ذَا بِبَيَانِ

وَهُوَ الَّذِي حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى *** قَدْ قَامَ بِالتَّدْبِيرِ لِلْأَكْوَانِ

وَرَبُّنَا تَعَالَى عَنِ الصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ؛ (وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا)[الْجِنّ: 3].

وَرَبُّنَا تَعَالَى عَنِ الشَّرِيكِ فِي أُلُوهِيَّتِهِ؛ (فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)[الْأَعْرَافِ: 190].

فمن يهنئ الكفار بعيد الكريسمس أو غيره من أعيادهم الدينية، فالله في قلبه ليس الأعلى، بل جعل لله ندا، قال ابن القيم: وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليب بل ذلك أعظم إثماً عند الله، وأشد مقتاً من التهنئة بشرب الخمر وقتل النفس، وارتكاب الفرج الحرام ونحوه، وكثير ممن لا قدر للدين عنده يقع في ذلك، ولا يدري قبح ما فعل، فمن هنّأ عبداً بمعصية أو بدعة، أو كفر فقد تعرض لمقت الله وسخطه." انتهى كلامه - يرحمه الله -

وَمَعَ عُلُوِّهِ -سُبْحَانَهُ-؛ فَهُوَ: قَرِيبٌ يُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَاهُ، وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى الْإِنْسَانِ مِنْ حَبْلِ وَرِيدِهِ، وَيَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى، قَالَ -تَعَالَى-: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)[ق: 16]، وَقَالَ تَعَالَى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)[الْبَقَرَةِ: 186]، وَقَالَ: (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ)[الرَّعْدِ: 9].

حطمتك الهموم، آلمتك الغموم، أقض مضجعك البلاء، أسهرك الوجع، أدمع عينك المكر والكيد والأذى، أفجعك خيانة المقربين، أحزنك تعسر أمورك، ثقي بالعلي الأعلى المتعال، فهو عال على خلقه مستو على عرشه، قريب من عباده يراهم ويسمعهم ولا يخفى عليه شيء!

فلا مخرج من أي بلاء إلا بثقتك بالعلي الأعلى، ففي القلب هم لا يذهبه إلا اليقين بقدرة الله على قهر كل الآلام والأوجاع والظروف والمستحيلات، وفي الحياة ألم لا يخففه إلا علمك عن الله والقرب منه ودعائه ومنجاته، فإذا انتابك الخوف والقلق من أي شيء فاسأل الله العلي الأعلى بلطفه وكرمه ورحمته أن يحول مخاوفك إلى أمن وأمان، وقلقك إلى طمأنينة، فهو قريب من جميع عباده بعلمه المحيط بكل شيء، وهو القريب من العابدين والداعين والذاكرين يؤنسهم ويحفظهم وينصرهم ويسدد رميهم ويجيب دعائهم.

وَعَلَى قَدْرِ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ يَكُونُ الْعُلُوُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ (كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ)[الْمُطَفِّفِينَ: 18]، وقال الله عز وجل: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)[الْقَصَصِ: 83].

أما من اغتر في دنياه بماله وأولاده، أو بمنصبه وسلطانه وأراد العلو والاستكبار سيعاقب بخلاف مراده، فقال سبحانه في شأن فرعونَ موضحاً أن علوَّه في الأرض كان السببَ فيما لقيه

من ذلٍّ وصغار وعذاب وبلاء، فقال سبحانه: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِ نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) [القصص:4]

✉ وقال سبحانه في شأن قارون الذي أعطاه الله مالاً وافرًا، وأسبغ عليه صنوفًا من زينة الحياة الدنيا، وغصَّت خزائنه بالأموال، وقد كانت مفاتيحها، يثقل حملها على الفئام من الناس لكثرتها، (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) تقلد زينةً فخمْةً عظيمة، وتجمل بمراكب وملابس، قد علاها الكبر والتفاخر، وطغى وتكبر، وآثر الحياة الدنيا على الآخرة، وأراد العلو والطغيان فأذاقه الله خلاف مراده وخسف به وبداره الأرض فلم تغنِ عنه ثروته الباهظة، ولم تدفع عنه زينته وجماله، ولم ينصره خدمه وأعوانه قال تعالى: (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ المُنتَصِرِينَ).

قال صلى الله عليه وسلم: "بيْنما رجلٌ يمشِي في حُلَّةٍ تُعجِبُهُ نفسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ، إذْ خسَفَ اللهُ بِهِ الأرْضَ، فهو يتجلْجَلُ فيها إلى يومِ القيامَةِ". صحيح الجامع

📝أما كَانَ مَعَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ، وَعَلَا شَأْنُهُ؛ (فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ)[مُحَمَّدٍ: 35].

✉إن الدار الآخرة وما فيها من النعيم المقيم لا تكون إلا لعباد الله المؤمنين المتواضعين، الذين لا يريدون ترفعا على الناس، ولا يحدثون شراً ولا فسادا: (تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِين لا يُرِيدُونَ عُلُواً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)، روى مسلم في صحيحه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: " إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حتَّى لا يَفْخَرَ أَحَدٌ علَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ علَى أَحَدٍ ".

✉إنَّ رفعةَ درجاتِ المتقين ورُقيَّ منازلِ الأبرار وسُموَّ مراتبِ المجتهدين وعلوَّ مقامات العاملين يكون باستباق الخيرات والتنافس في الباقيات الصالحات، وقد وصف سبحانه عباده المؤمنين وجندَه الصادقين بأنهم الأعلَون في قوله سبحانه: (وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) [آل عمران:139]

✉الْكُلُّ يُرِيدُ الْعُلُوَّ وَالرِّفْعَةَ وَالْمَكَانَةَ الْعَالِيَةَ وَالثَّنَاءَ الْحَسَنَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَكَذَلِكَ الْآخِرَةِ، وَقَدْ دَلَّنَا النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى مَا يَرْفَعُ دَرَجَاتِنَا عِنْدَ اللَّهِ:

أَوَّلًا: الْإِيمَانُ؛ (وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا)[طه: 75].

ثَانِيًا: الْعِلْمُ؛ (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)[الْمُجَادِلَةِ: 11].

ثَالِثًا: التَّوَاضُعُ، لله ولعباد الله، صَحَّ عَنْهُ -ﷺ- أَنَّهُ قَالَ: "وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ"(أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

وَلَمَّا طَلَبَ أَحَدُ الصَّحَابَةِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- مُرَافَقَةَ النَّبِيِّ -ﷺ- فِي الْجَنَّةِ؛ قَالَ لَهُ: "فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ"(أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ)، وَالذِّكْرُ فِي السُّجُودِ: (سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى)، وَاللَّهُ قَالَ: (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى)[الْأَعْلَى: 1].

✉وَعُلِّلَ هَذَا الْقَوْلُ فِي السُّجُودِ بِأَنَّهُ: غَايَةٌ فِي الْخُضُوعِ وَالتَّذَلُّلِ مِنَ الْعَبْدِ بِأَشْرَفِ شَيْءٍ فِيهِ لِلَّهِ، وَهُوَ: وَجْهُهُ؛ بِأَنْ يَضَعَهُ عَلَى التُّرَابِ، فَنَاسَبَ -وَهُوَ فِي غَايَةِ سُفُولِهِ- أَنْ يَصِفَ رَبَّهُ بِأَنَّهُ: الْأَعْلَى -سُبْحَانَهُ-.

قال ابن القيم: ثم شرع له أن يكبر ويدنو ويخرَّ ساجدا، ويُعطي في سجوده كل عضو من أعضائه حظَّه من العبودية، فيضع ناصيته بالأرض بين يدي ربه، مسندة راغما له أنفه، خاضعا له قلبه، ويضع أشرف ما فيه ـ وهو وجهه ـ بالأرض ولاسيما وجه قلبه مع وجهه الظاهر ساجدا على الأرض معفِّراً له وجهه وأشرف ما فيه بين يدي سيّده، راغماً أنفه، خاضعاً له قلبه وجوارحه، متذلِّلاً لعظمة ربه، خاضعاً لعزَّته، منيباً إليه، مستكيناً ذلاً وخضوعاً وانكساراً، قد صارت أعاليه ملويةً لأسافله.

وَلِذَلِكَ لَمَّا كَانَ هَذَا حَالَ الْعَبْدِ فِي تِلْكَ الْهَيْئَةِ كَانَ أَقْرَبَ إِلَى اللهِ، قَالَ -ﷺ-: "أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ؛ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ"(أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

وَبَعْدَ أَنْ عَلِمْتَ أَنَّ الْأَرْضَ تُدَارُ مِنَ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى؛ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ فَيَا أَيُّهَا الْمَرِيضُ! الشَّافِي فِي السَّمَاءِ، وَيَا أَيُّهَا الْفَقِيرُ! الْغَنِيُّ فِي السَّمَاءِ، وَيَا أَيُّهَا الْحَزِينُ! الْجَابِرُ فِي السَّمَاءِ، أَيُّهَا الْعَقِيمُ! الْمُجِيبُ فِي السَّمَاءِ، أَيُّهَا الْمَدِينُ! الرَّزَّاقُ فِي السَّمَاءِ، أَيُّهَا الْمَغْمُومُ! الْفَتَّاحُ فِي السَّمَاءِ.

فَتَوَجَّهْ بِقَلْبِكَ وَوَجْهِكَ إِلَى السَّمَاءِ، وَادْعُ اللهَ الْعَلِيَّ الْأَعْلَى، وَأَبْشِرْ بِمَا يَسُرُّكَ؛ فَقَدْ بُشِّرْتَ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ بِقَوْلِهِ: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)[الْبَقَرَةِ: 186].

لَكَ الْحَمْدُ يَا ذَا الْجُودِ وَالْمَجْدِ وَالْعُلَا *** تَبَارَكْتَ تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتَمْنَعُ

حظ المؤمن من اسم الله العلي الأعلى المتعال:

الأول: الخضوع والذل والانكسار للرب الأعلى، فإذا كان سبحانه أعلى من كل شيء فينبغي أن يكون كذلك عندنا وفي قلوبنا، فننكسر ونخضع وننذل له سبحانه.

الثاني: أن يكون سلوك العبد في الحياة مبنيًا على الإخلاص وابتغاء وجه ربه الأعلى، قال تعالى: (وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى).

أي ليس لأحد عنده من نعمةٍ تجزى إلا من يبتغي وجه ربه الأعلى، فلا يعطي أحدًا لمصلحة أو لغرض، لا يعطي من يحصل مدحًا أو يرائي الناس، لا يعطي إلا من قصد وجه ربه الأعلى. ذيل الآية باسمه تعالى (الأعلى) من دون غيره من أسمائه جل وعلا، لأن في بذل العبد لماله لله دليل على أنه يتخلص من الأثر الدنيوي، فهو مجبول على الشح، قال تعالى: (وَكَانَ الإنسَانُ قَتُورًا) [الإسراء من الآية:100]، فطرته تأمره بالبخل وهو يجاهدها ويتصدق ليتخلص من شحها، فلما علا على شهواته وعلا على نفسه قابله ربه الأعلى.

فالتخلص من الآفات والعيوب يكون بالعلو عليها بمحبة العلي الأعلى، وتقديم محابه على كل محاب، فإن غفلنا علت الآفات وظهرت على الجوارح، فالمسألة تحتاج إلى جهاد.

وكذلك ظروفك وأحزانك وهمومك، ليس لها حل إلا أن تعلو عليها ولك في نبيك أسوة حسنة، إذ كانت تطلق بناته -ﷺ- ويسعى في الدعوة وكأن شيئًا لم يكن، وماتت له زينب فيحزن ولكن لم يقعده حزنه، ومزق عمه تمزيقًا فحزن عليه حزنًا شديدًا، ولكن لم ييأس ولم يقعده حزنه، بل كان -ﷺ- يعلو على كل أمور الدنيا: همومها وأحزانها.

الثالث: أن يكون ذكرك له وعبادتك إياه مصحوبا باستشعار القلب لجلاله وعظمته؛ و لا شك أنك متى قمت بهذا واعتقدته عظم قدر ربك في قلبك، فصعب عليك أن تعصيه، وعظم عليك أن

تدين لغيره بالعظمة، وكذلك كبر عليك أن تترك طاعته، وعرفت أن له عليك حقوقاً كثيرة لابد أن تدين بها، ولابد أن تحرص على أدائها؛ ولذا قرن بين الأمر بالتسبيح وبين علوه فقال (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى).

الرابع: الخضوع له والتسليم لأمره، والوجل عند ذكره، وهذا شأن من عرف ربه فالذي يعتقد ذلك لا شك أنه يعظم قدر ربه في قلبه، لأنه يستحضر عظمته وكبرياءه وجلاله وغناه عن خلقه، ثم يستحضر ضعف الخلق كلهم، وفقرهم وفاقتهم، وحاجتهم الشديدة إلى ربهم، فبعد ذلك يقول: ما أنا وما قدري حتى أظهر الغنى عن الله، وحتى أبارزه بالذنوب، وأعصي أمره وأرتكب نهيه؟! وهل أتحمل شيئاً من سخطه أو أصبر على شيء من عذابه؟ فيكون استحضاره ذلك زاجراً له عن اقتراف المآثم.

ثبت في البخاري من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أن النَّبِيَّ -ﷺ- قَالَ : ( إِذَا قَضَى اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ المَلاَئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَالسِّلْسِلَةِ عَلَى صَفْوَانٍ ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا : مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟قَالُوا لِلذِي قَالَ : الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ )

وإذا كانت الملائكة في السماء تخشع عند سماع قوله وتفزع عند إلقاء وحيه كما جاء ذلك في قوله: (حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) [سبأ:23]، إذا كان هذا أمرها وهذا قولها وفعلها، فحري بالعبد أن يخشع لسماع قوله، ويطمئن قلبه عند ذكره، وأن يتذلل بين يدي مولاه، فيركن إليه ويعتمد عليه ثقة في أنه العلى ولا علي على الإطلاق سواه.

الدعاء باسمه تعالى العلي الأعلى المتعال:

ورد دعاء الله بصفة العلو أما الدعاء باسمه سبحانه الأعلى فقد ورد بمعناه ومقتضاه.

كما في الحديث لابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "كان النبي -ﷺ- يعلمنا دعاء ندعو به في القنوت من صلاة: «اللهمَّ اهدِنا فيمَن هدَيت، وعافِنا فيمَن عافيت وتولَّنا فيمَن تولَّيت، وبارِكْ لنا فيما أعطيت، وقِنا شرَّ ما قضيت، إنك تَقضي ولا يُقضى عليكَ، إنه لا يَذِلُّ مَن والَيت، ولا يَعزُّ مَن عاديت، تباركت ربَّنا وتعالَيت» (صحيح؛ الألباني، إرواء الغليل: [429]).

هنا دعاء الثناء في ضمنه دعاء المسألة: «تباركت ربنا وتعاليت».

ومن الدعاء بالمقتضى سؤال الأعلى من الخير والفضل، بمعنى أنك تسأل ربنا سبحانه وتعالى الفردوس الأعلى، وتسأله الرفيق الأعلى.

كما تقول عائشة رضي الله عنها في مرض موت النبي -ﷺ-: "سَمِعْتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وهو مُسْتَنِدٌ إليَّ يقول: «اللَّهم اغفِر لي وارحَمني وألحِقني بالرَّفيقِ الأعلَى» (صحيح الترمذي)، وكان رسولَ اللهِ -ﷺ-، كان إذا أخذ مضجعَه من الليلِ قال: «بسم اللهِ وضعتُ جنبي، اللهم اغفر لي ذنبي، وأخْسِئْ شيطاني، وفكَّ رِهاني، واجعلني في النديِّ الأعلى» (صحيح الألباني، صحيح أبي داوود) وهي ألفاظ مهجورة رغم ثبوتها.

وكان النَّبيَّ -ﷺ- كانَ إذا خافَ قومًا قالَ: «اللَّهمَّ! إنَّا نجعلُكَ في نحورِهم ونَعوذُ بِكَ من شرورِهِم» (صحيح الألباني)

اللهم إنا نعوذ بك من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب.

اللهم أنت المتعال فأعزنا وأعز أهل الإسلام.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْأَعْلَى: أَنْ تُعْلِيَ شَأْنَنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

❶ (العلي - الأعلى - المتعال): د. باسم عامر.

❷العلِيُّ الأَعْلَى المُتعالِ -جل جلاله-: د عبد الله بن مشبب القحطاني.

❸العلِيُّ الأَعْلَى المُتعالِ -جل جلاله-: هاني حلمي عبد الحميد.